سلسلة رسائل "وذكِّر"
(1)

# "وذكِّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين"

التوبة إلى الله

تقوى الله

حافظ على الصلاة

لا تَهْجُر القرآن

اجتنب الهوى وسبيل الشيطان

صِلْ رَحِمك

لا تنس ذكر الله

أ.د عبد الله الشارف

كلية أصول الدين/ تطوان

سلسلة رسائل "وذكِّر"

( 1 )

# ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

التوبة إلى الله

تقوى الله

حافظ على الصلاة

لا تَهْجُر القرآن

اجتنب الهوى وسبيل الشيطان

صِلْ رَحِمك

لا تنس ذكر الله


**أ. د. عبد الله الشارف**

**كلية أصول الدين / تطوان**

الكتاب: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُومِنِينَ ﴾
المؤلف: أ.د عبد الله الشارف
الطبعة: الثانية 1447 / 2026 م
الطبع: مطبعة تطوان – تطوان
الهاتف: 34 42 70 539 (212)+
البريد الالكتروني: imp.tetouan@gmail.com
رقم الإيداع القانوني الوطني: 2025MO1078
رقم الإيداع القانوني الدولي: 978-9920-23-049-0

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين، باعث النبي الأمين، سيد المرسلين، وخاتم النبيئين، رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين، وحجة على الناس أجمعين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه المهتدين، السابقين الأولين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد؛ فهذه رسالة تذكرة، أهديها لكم عملا بقول نبينا ﷺ: "تهادوا تحابوا". وهي رسالة صغيرة تشتمل على موضوعات دينية وإيمانية جليلة، مثل: التوبة إلى الله، وتقوى الله، والمحافظة على الصلاة، والحذر من هجر القرآن الكريم، وصلة الرحم.

ولقد أمرنا ربنا جل وعلا بالتقوى، والتوبة، والإنابة إليه، والمحافظة على الصلاة عمود الدين، وحذّرنا أشد تحذير من من هَجْر القرآن والإعراض عنه، رأفة بنا ورحمة، وشفقة علينا ونعمة.

فما أحوجنا إلى التوبة والاستغفار، والرجوع إلى الله الواحد القهار، والعمل بأوامره، واجتناب نواهيه، واتباع سنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه، لعلنا نكون من المفلحين. قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحاً فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴾ (القصص 67).

جعلني الله وإياكم ممن قال فيهم الحق سبحانه وتعالى:

﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ

ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (التوبة 113). آمين، وصل اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، ومن اقتدى به واهتدى بهديه.

## التوبة إلى الله

إن أمر التوبة أمرعظيم وجليل، لا يعرف قدره وأهميته إلا المؤمنون المتقون. أما الغافلون من المسلمين، فإنهم محجوبون عن التوبة ونورها، إلا أن تتداركهم رحمة الله عز وجل. وما لم يقلع العبد عن ذنوبه ويتجرد منها، محققاً بذلك التوبة النصوح، فإن مآله؛ الخسران المبين فى الدنيا والآخرة.

ومن العقوبات الدنيوية المهلكة للعصاة، والمذنبين الغافلين عن التوبة؛ مَحْقُ بركةِ أعمارهم، وأرزاقهم، وأعمالهم، لا ينتفعون من ذلك بشيء مهما عمَّروا، ومهما جمعوا من أموال ومن حطام الدنيا، إذ أبى الله إلا أن يحرمهم بركة الرزق والعمر، ويحرمهم السعادة والطمأنينة فى الحياة الدنيا؛ جزاء وفاقاً.

ولا يعرف طعم التوبة وحلاوتها ونعيمها إلا من تذوقها وعاش في كنفها. فلا غرو؛ إذ هي من أسباب طمأنينة النفس، وطرب القلب، وسعادة الروح. وكفى بثمارها وبشائرها أن ينال التائب بتوبته حب الله له، لقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة 220). وإذا أحب الله عبدا جعله وليا من أوليائه.

**- التوبة في القرآن**

وردت ألفاظ التوبة في القرآن في آيات كثيرة، منها قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة: 220).

وقال الله سبحانه: ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المائدة 41).

وقال الملك الحق المبين: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المائدة 76).

وقال التواب الرحيم: ﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الأعراف 153).

وقال الله عز وجل: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (التوبة 113).

وقال العزيز الحكيم: ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴾ (القصص 67).

وقال اللطيف الخبير: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (التحريم 8).

- **التوبة في السنة النبوية**

من الأحاديث الواردة في موضوع التوبة قول النبي الله ﷺ: "يا أَيُّها الناسُ تُوبُوا إلى اللهِ، فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة". (رواه مسلم).

وقال رسول الله ﷺ: "والذي نفسي بيدِهِ، لو لم تُذنِبُوا لذَهَبَ اللهُ بكم، ولَجَاءَ بقُومٍ يُذنِبون فيستغفِرون اللهَ، فيغْفِر لهم". (رواه مسلم)

وقال النبي ﷺ: "سَيِّدُ الاستغفار أن تقول: اللهُمَّ أنت ربِّي، لا إله إلا أنت، خلقْتَني وأنا عَبْدُكَ، وأنا على عَهْدِكَ ووَعْدِكَ ما استطعْتُ، أعُوذُ بِكَ من شَرِّ ما صَنَعْتُ، أبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عليَّ، وأبُوءُ لَكَ بذَنْبي فاغْفِرْ لي؛ فإنَّه لا يغفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أنت"، قال: "ومَنْ قالها من النهار مُوقِنًا بها، فمات من يومِه قبل أن يُمْسي، فهو من أهل الجنة، ومَن قالها من الليل وهو موقِنٌ بها، فمات قبل أن يُصبِح، فهو من أهل الجنة". (رواه البخاري).

وقال رسول الله ﷺ: "قال الله تبارك وتعالى: يا ابنَ آدمَ، إنكَ ما دعوتَني ورجوتَني غفرتُ لكَ على ما كان فيك ولا أُبالي، يا بن آدم، لو بلَغَتْ ذُنوبُكَ عنانَ السماء، ثمَّ استغفرتَني غفَرْتُ لَكَ ولا أُبالي، يا بن آدَمَ، إنَّكَ لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا، ثم لقيتَني لا تُشرِكُ بي شيئًا، لأتيتُكَ بقُرابها مَغْفِرةً". (رواه الترمذي).

وقال رسول الله ﷺ: "مَنْ جَلَسَ في مجلِسٍ، فكثُر فيه لَغَطُه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وبحمدِكَ، أشهدُ أن لا إله

إلا أنت، أستغفرُكَ وأتوبُ إليكَ، إلَّا غَفَرَ له ما كان في مجلِسِه ذلك". (رواه الترمذي).

وقال نبينا صلوات الله وسلامه عليه: "إن الله عز وجل يبسُط يدَه بالليل؛ ليتُوبَ مُسيءُ النهار، ويبسُط يدَهُ بالنهار؛ ليتُوبَ مُسيءُ الليل، حتى تطلُعَ الشمسُ من مَغْرِبِها". (رواه مسلم).

وقال رسول الله ﷺ: "كُلُّ ابن آدَمَ خَطَّاءٌ، وخيرُ الخطائين التَّوَّابون". (رواه الترمذي).

**- التوبة واجبة وعلى الدوام**

لقد أمر الله سبحانه عباده بالتوبة، كما صرحت بذلك آيات كثيرة، فالتوبة واجبة وفرض عين على كل مسلم ومسلمة. ونبينا ﷺ، أمر المسلمين بها، وحضَّهم عليها، وعلى الاستغفار الدائم والمتواصل؛ روى مسلم عن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: "يا أيُّها الناسُ تُوبُوا إلى الله، فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة".

ثم إن التوبة واجبة على الفور لا على التراخى، كما يظن كثير من المذنبين الغافلين، الذين غرقوا فى بحر التسويف، ولم يتوبوا إلى الله، حتى حال الموت بينهم وبين التوبة والإنابة إلى خالقهم. ولما كانت حياة العبد لا تخلو من المعاصي والذنوب، لزمه الاستغفار فى كل وقت وحين، فقد يذنب ويقع فى المعصية وهو لا يشعر، كما قد ينسيه الشيطان ويُلَبِّسُ عليه، فيهمل أمر التوبة، أو يحتقر بعض ذنوبه ولا يتوب منها.

وإذا كان نبينا صلوات الله وسلامه عليه، وهو المعصوم، يستغفر الله ويتوب إليه مائة مرة فى اليوم كما ورد فى الحديث، فكيف نهمل هذا الواجب أو نغفل عنه، ونحن الضعفاء الخطاؤون المذنبون، والمُعَرَّضون لمكائد وحبائل الشيطان، ووساوسه.

وفى سياق التوبة واستصحابها، يقول العلامه الفقيه محمد بن قيم الجوزية رحمه الله: "ومنزل التوبة أول المنازل، وأوسطها، وآخرها، فلا يفارقه العبد السالك، ولا يزال فيه إلى الممات، وإن ارتحل إلى منزل آخر ارتحل به، واستصحبه معه ونزل به، فالتوبة هى بداية العبد ونهايته، وحاجته إليها فى النهاية ضرورية، كما أن حاجته إليها فى البداية كذلك، وقد قال الله تعالى: وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ، وهذه الآية فى سورة مدنية، خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه، بعد إيمانهم وصبرهم، وهجرتهم وجهادهم، ثم علق الفلاح بالتوبة تعليق المسبب بسببه، وأتى بأداة لعل المشعرة بالترجى، إيذانا بأنكم إذا تبتم كنتم على رجاء الفلاح، فلا يرجو الفلاح إلا التائبون، جعلنا الله منهم "(ابن القيم، "مدارج السالكين).

**- التوبة تجلب الخير والبركات**

قال الحي القيوم: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ﴾ (هود 52).

إن الله عز وجل كثيرا ما يعاقب المشركين والظالمين، بحرمانهم من خيرات وبركات السماء والأرض. ثم يدعوهم بعد ذلك على لسان أنبيائه ورسله، إلى التوبة والرجوع إلى الطريق المستقيم، كي ينعم عليهم بتلك الخيرات، ويفتح لهم أبواب الرزق والمنح والعطايا، ويكرمهم بالأمن والرخاء ورغد العيش. إن هذه السنن الطبيعية الربانية آية من آيات الله العظيمة التي يصرفها سبحانه في حياة الناس تصريفا حكيما، ابتلاء وامتحانا لهم، لعلهم يتفكرون ويتعظون ويعتبرون. قال تعالى وقوله الحق: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ (الأنعام 66).

**- التوبة تبدل السيئات حسنات**

قال اللطيف الخبير: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (الفرقان 70). قال المفسر عبد الرحمن السعدي رحمه الله: " إِلَّا مَنْ تَابَ " عن هذه المعاصي وغيرها بأن أقلع عنها في الحال، وندم على ما مضى له من فعلها، وعزم عزما جازما أن لا يعود، "وَآمَنَ " بالله إيمانا صحيحا يقتضي ترك المعاصي وفعل الطاعات، "وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا" مما أمر به الشارع إذا قصد به وجه الله.

"فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ" أي: تتبدل أفعالهم وأقوالهم التي كانت مستعدة لعمل السيئات تتبدل حسنات، فيتبدل شركهم إيمانا ومعصيتهم طاعة وتتبدل نفس السيئات التي عملوها، ثم

أحدثوا عن كل ذنب منها توبة وإنابة وطاعة، تبدل حسنات كما هو ظاهر الآية". (السعدي، "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان").

**- شروط التوبة**

- إخلاص النية لله سبحانه

ينبغي على العبد التائب إلى الله عز وجل، أن يخلص النية لربه حين العزم على التوبة من الذنوب والمعاصي. قال رسول الله ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى".(متفق عليه)

- الندم

والمقصود بالندم؛ أن يستشعر العبد قبح الذنوب التي اقترفها، وعدم حيائه من خالقه، وتجرئه عليه بارتكابها، ويتذكر شناعة وقبح استسلامه للشيطان، واستجابته لدعوته ووسوسته. قال الحق سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (إبراهيم 24). فإذا اضطرمت في قلب العبد التائب إلى الله، نيران الندم والحسرة، وباتت ذنوبه بين عينيه، ولم يستطع نسيانها، أضحى قاب قوسين أو أدنى من عفو الله ورحمته؛ قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ

وَيَعْـلَمُ مَا يَفْعَلُونَ ﴾ (الشورى 23).

- الإقلاع عن الذنوب

وهذا من الشروط اللازمة؛ إذ لا تصح توبة من لم يضع حدا لعلاقته بذنوبه التى تاب منها. وما دام مباشرا لها ولو قليلا، أو فى وقت دون وقت، فإنه غير تائب، وإنما هو مستخِف بما حرمه الله. ولن يظفر بحال الإقلاع الصحيح عن الذنب، ما لم يقطع الصلة بكل الأسباب المؤدية إلى الوقوع فيه؛ الأمر الذي يتطلب اللجوء إلى مجاهدة النفس، ومراقبتها على الدوام، مع عقد نية جازمة على عدم الرجوع إلى فعل تلك الذنوب واقترافها.

- رد الحقوق

وهو شرط مؤكد ولازم لحصول التوبة وتقبلها من الله سبحانه. والحقوق نوعان: حقوق الله عز وجل، وحقوق العباد. فحقوق الله تتعلق بأوامره ونواهيه. والعبد الذي عزم على التوبة والإقلاع عن ذنوبه ومعاصيه، مطالب بمحاسبة نفسه، والقيام بما أمر الله، واجتناب ما نهى عنه سبحانه، مع اتباع سنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه.

أما حقوق العباد، فإن التائب إلى الله يتعين عليه ردها إلى أصحابها إن كانوا أحياء، أو إلى ورثتهم فى حال موتهم. قال رسول الله ﷺ: "من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه، أو شىء، فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم. إن كان له عمل صالح، أخذ منه بقدر مظلمته،

وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه". (رواه البخاري).

واذا لم يعثر على أصحاب الحقوق ولا على ورثتهم، فعليه أن يتصدق بها عن أصحابها، بدفعها إلى الفقراء أو مؤسسات خيرية. وأما فيما يخص المظالم الأخلاقية والسلوكية؛ كالغيبة، والسخرية، فإن العلماء لم يتفقوا على كيفية التوبة والتحلل منها. فذهب بعضهم الى وجوب إخبار التائب كل الأشخاص الذين استهدفهم بالغيبة، أو الاستهزاء، أو الكذب عليهم، أو ما أشبه ذلك. وقال آخرون يكفى أن يتوب العبد الجانى بينه وبين الله، ولا يتوجب عليه إعلام من اغتابهم أو سخر منهم. بينما اختار علماء آخرون القول الوسط وهو وجوب الإخبار والتحلل منهم، إذا لم يفض ذلك إلى مفسدة، وإلا فلا يخبرهم، ويعقد التوبة بينه وبين خالقه.

## تقوى الله

إن التقوى من الكلمات القرآنية الزكية الجامعة والمستوعبة لمعاني العبادة، والعبودية، والخشية، والافتقار الى الله سبحانه، كما أنها سبب محبته ورضوانه، وطريق الوصول إليه وإلى جنته.

ولقد أتى على المسلمين زمن، خلال القرون الثلاثة الأولى، كانت التقوى لباسهم، والخشيه سيمتهم. ثم بعد ذلك شرعوا، إلا من رحم الله، في الانغماس في الدنيا واتباع الشهوات، فابتلاهم سبحانه بأنواع من الابتلاءات، والمصائب، والفتن، وسلط عليهم عدوهم من الكفار والمشركين، مثل المغول والتتار، والصليبين، وغيرهم. ثم المستعمر الأوربي في العصر الحديث؛ إنها سنة الله في عباده لا تتبدل ولا تتغير.

وظل أمر التقوى يضعف تدريجيا، إلى أن وصل حالنا إلى ما نحن عليه اليوم؛ حيث استولت الغفلة على القلوب، وقوي الحرص على الدنيا وملذاتها، وانتشرت المنكرات، والسلوكات والأفعال المحرمة. وزهد الناس في الآخرة، ونسوا ربهم فأنساهم أنفسهم.

والتقوى بالنسبة إلى الدين، كالروح بالنسبة الى الجسد. فالدين بلا تقوى كالبيت الخرب المهجور، أو البئر المعطلة. فلا حياة للدين إلا بها؛ إذ هي قطب رحاه.

ثم إن التقوى وصية عظيمة وجليلة، مستغرقة لحقوق الله وحقوق عباده، قال العزيز الحكيم: ﴿ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ

وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾ (البقرة 196). وقال عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ (النساء 130). وقال سبحانه: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (القصص83)، إلى غيرها من الآيات القرآنية الدالة على عظم قدر التقوى.

وأصل التقوى أن يكون بين العبد وخالقه، وبين ما يخافه ويحذره؛ مانعا ووقاية تقيه منه. وهذه الوقاية هي القيام بأفعال الطاعة، واجتناب النواهي والمعاصي. ومن هنا فإن التقوى باعتبارها تربية للنفس وتزكية لها، تجعل المسلم دوما في حال خوف، ومراقبة، واستحضار في القلب لعظمة الله وجلاله. كما أنها شعور إيماني يروم ضبط النفس، ومنعها من الوقوع في المعصية والهوى.

**- التقوى في القرآن**

من الآيات البينات في ذكر التقوى؛ قوله عز وجل: ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة 1)

وقال الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ (البقرة 280)

وقال الغني الحميد: ﴿ قُلَ اَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (آل عمران 15).

وقال العزيز الحكيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ (آل عمران 102).

وقال عز وجل: ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ (الأعراف 95).

وقال السميع البصير: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ (الأنفال 29).

وقال العلي الكبير: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ ﴾ (يونس 62-63-64)

وقال الغفور الرحيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ (الحشر 18).

وقال الحي القيوم: ﴿ إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابٗا ﴿٣٣﴾ وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا ﴿٣٥﴾ جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا ﴿٣٦﴾ ﴾ (النبأ 31-36)، إلى غيرها من الآيات البينات التي تذكر فضائل وأسرار التقوى، وتحث المؤمنين على التحلي بها.

## - أحاديث نبويه في التقوى

عن أبي ذر الغفاري قال؛ قلت يا رسول الله اوصني، قال: "أوصيك بتقوى الله فإنها رأس اللأمر كله، قلت يا رسول الله زدني، قال: عليك بتلاوة القرآن فإنه نور لك في الأرض وذخر لك في السماء" (المنذري، "الترغيب والترهيب").

وقال رسول الله ﷺ: "اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحوها وخالق الناس بخلق حسن" (رواه الترمذي). وقال رسول الله ﷺ: "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا". (رواه أبو داود والترمذي). وقال نبينا صلوات الله وسلامه عليه: "إن روح القدس قد نفث في روعي أنها لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله" (الألباني، "صحيح الجامع"). وقال رسول الله ﷺ: "إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنه بني إسرائيل كانت في النساء". (رواه مسلم).

وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: " من يأخذُ عنِّي هؤلاءِ الكلماتِ فيعملُ بِهنَّ أو يعلِّمُ من يعملُ بِهنَّ قلتُ أنا يا رسولَ اللَّهِ فأخذَ بيدي فعدَّ خمسًا فقالَ اتَّقِ المحارمَ تَكن أعبدَ النَّاسِ وارضَ بما قسمَ اللَّهُ لَك تَكن أغنى النَّاسِ وأحسِن إلى جارِك تَكن مؤمنًا وأحبَّ للنَّاسِ ما

تحبُّ لنفسِك تكن مسلِمًا ولا تُكثرِ الضَّحِك فإنَّ كثرةَ الضَّحِك تُميتُ القلبَ" (أخرجه الترمذي، وابن ماجة، وأحمد).

**- بعض أقوال السلف في التقوى**

لقد أُثِر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: "التقوى هي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والقناعة بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل". وعن داود الطائي رحمه الله قال: "ما أخرج الله عبدا من ذل المعاصي إلى عز التقوى، إلا أغناه الله بلا مال، وأعزه بلا عشيرة، وآنسه بلا أنيس" (أبو نعيم الأصفهاني، "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء").

**- فوائد التقوى وثمراتها**

إن المتأمل والمتدبر في القرآن الكريم، يجد أن فوائد التقوى، وثمراتها، وفضائلها، ومزاياها، لا تعد ولا تحصى. فمنها ما يلي:

- الفلاح في الدنيا والآخره؛ قال سبحانه: ﴿وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (البقرة 188).

- معية الله؛ قال الله عز وجل: ﴿ وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة 193).

- نيل محبة الله؛ قال الولي الحميد: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران 75).

- حفظ المؤمن من كيد الأعداء؛ قال الولي الحميد: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ

وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً اِنَّ اَللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (آل عمران 120).

- الفوز بالجنة؛ قال الرؤوف الرحيم: ﴿سَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا اُلسَّمَوَاتُ وَالاَرْضُ اُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران 133).

- قبول الأعمال الصالحة؛ قال العليم الحكيم: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اُللَّهُ مِنَ اَلْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة 29).

- الأمن من الخوف والحزن؛ قال الولي الحميد: ﴿فَمَنِ اِتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الأعراف 33).

- التوسعة في الرزق؛ قال الله عز وجل: ﴿وَلَوَ اَنَّ أَهْلَ اَلْقُرِىٰٓ ءَامَنُواْ وَاتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ اَلسَّمَآءِ وَالاَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف 95).

- إرشاد العبد وتبصيره بالحق؛ قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا اَلذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ اُللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً﴾ (الأنفال 29).

- الحمايه من الشيطان؛ قال العزيز الحكيم: ﴿اِنَّ عِبَادِے لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ اِلَّا مَنِ اِتَّبَعَكَ مِنَ اَلْغَاوِينَ﴾ (الحجر 42).

- يجعل الله للمؤمن من كل ضيق فرجا ومخرجا؛ قال الحق سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ اِللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجاً ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق 2-3).

- تيسير الأمور؛ قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ ﴾ (الليل 5-7).

## - سبل اكتساب التقوى

إن التقوى أمر شديد وثقيل على النفس الأمارة والغافلة، لما فيها من تقييد لها، ومنعها من أن تهيم على وجهها منجذبة إلى رغباتها وأهوائها. ويصعب على المسلم الظفر بصفة التقوى إذا لم ينازل نفسه منازلة الفارس المحارب؛ مستعينا بوسائل وطرق تربوية وإيمانية، ومسترشدا بالمنهج النبوي فيما يخص تربية النفس وتزكيتها. وهذه بعض أهم سبل ووسائل تحقيق التقوى مستخلصة من الكتاب والسنة:

### 1- إخلاص العبادة لله

قال الحي القيوم: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ (البينة 5). واقتران العبادة بالإخلاص في القرآن كثير، مما يدل على أهمية هذه الصفة الإيمانية الزكية، وكونها شرطا في قبول عبادة الله.

### 2- المحافظة على تلاوة القرآن والعمل به

قال الحق سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس 57). قال المفسر

السعدي رحمه الله: "يقول الله تعالى مرغبا للخلق في الإقبال على هذا الكتاب الكريم، بذكر أوصافه الحسنة الضرورية للعباد فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾، أي: تعظكم وتنذركم عن الأعمال الموجبة لسخط الله، المقتضية لعقابه، وتحذركم عنها ببيان آثارها ومفاسدها، وشفاء لما في الصدور، وهو هذا القران: شفاء لما في الصدور من أمراض الشهوات الصادة عن الانقياد للشرع، وأمراض الشبهات القادحة في العلم اليقيني، فإن ما فيه من المواعظ، والترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، مما يوجب للعبد الرغبة والرهبه...وهدى ورحمة للمؤمنين، فالهدى هو العلم بالحق والعمل به، والرحمة هو ما يحصل من الخير والإحسان، والثواب العاجل والآجل لمن اهتدى به... وإذا حصل الهدى، وحلت الرحمة الناشئة عنه، حصلت السعادة والفلاح، والربح والنجاح، والفرح والسرور" (السعدي، "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان").

إن الخير كل الخير، في طاعة العبد مولاه، والإقبال على كتابه العزيز قراءة وتدبرا، والاجتهاد في العمل به، والاحتكام إليه. وما تعِسَ من تعِسَ، ولا شقِيَ من شقِيَ من المسلمين في زماننا هذا، إلا بهجر القرآن والإعراض عنه.

### 3- مجاهدة النفس

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ

﴿٣٩﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ (النازعات). ولكي تستجيب النفس لصاحبها، وتنتهي عن غيها وهواها، ينبغي العمل على مجاهدتها، وكسر شهوتها، وإرغامها على طاعة ربها؛ وذلك بغيه الظفر بالتقوى؛ إذ بدون المجاهدة والمكابدة، مع الصبر والمصابرة، لن يتحقق المسلم بنفس راضية مطيعة لربها، وقد يظل حياته معذبا بسبب رعونتها وعصيانها.

## 4- المحافظة على الفرائض والإكثار من النوافل

ومن الوسائل المؤدية الى حصول التقوى؛ المحافظة على الفرائض، والإكثار من النوافل. وهذا سبب قوي لجلب محبة الله. قال رسول الله ﷺ، فيما يرويه عن ربه: "من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب الي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه. فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولإن سألني لأعطينه، ولإن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته". (رواه البخاري).

## حافظ على الصلاة

اعلم أخي المسلم أن إقامة الصلوات الخمس، والمحافظة عليها بأركانها وشروطها، من أوجب الواجبات الدينية والأوامر الربانية المتعلقة بالعبادة، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَارْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ (البقرة 42)، وقوله سبحانه: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَالصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلهِ قَٰنِتِينَ﴾ (البقرة 236). وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُومِنِينَ كِتَٰباً مَّوْقُوتاً﴾ (النساء 102)، إلى غيرها من الآيات الكريمة التي يستفاد منها أمر الله عباده بإقامة الصلاة والمحافظة عليها.

وقال رسول الله ﷺ: "أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فإن صلحت صلح له سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله". (رواه الترمذي والنسائي وابن أبي شيبة والبيهقي).

إن الاستخفاف بالصلاة والتهاون في القيام بها، قد يفضي بالمسلم الغافل إلى إضاعتها وتركها؛ قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ اَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَاتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾ (مريم 59). وما أكثر الذين كانوا يصلون ثم تركوا الصلاة بعد أن استزلهم الشيطان بما كسبوا من الذنوب والمعاصي، والركون إلى شهوات وأهواء النفس الأمارة بالسوء، فشملهم الوعيد المذكور في حديث رسول الله ﷺ: "من ترك الصلاة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله ورسوله" (رواه أحمد).

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: " مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ سُنَنَ الْهُدَى وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ" (رواه مسلم).

ومن شدة تأكيد شرعنا الحنيف على المحافظة على الصلاة وإقامتها فى وقتها المعلوم، أن أوجب على المسلم أداءها مهما كانت أحواله؛ سواء كان مقيما أو مسافرا، صحيحا أو مريضا، في سلمه أو حربه.

هذا وإن المحافظة على إقامة الصلوات بشروطها وأركانها، من أسباب الترقي في درجات الجنة، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ (المؤمنون).

ثم إن استصحاب الخشوع والإخلاص أثناء الصلاة، يجلب لصاحبها الأمن والطمأنينة على الدوام، وفي كل الأحوال بما في ذلك أحوال المخاوف والمصائب التي يبتلى بها العبد المسلم الخاشع التقي، بخلاف

المسلم الغافل المضيع لواجباته الدينية؛ فإنه لا يصبر، ولا يثبت قلبه عند الابتلاء. كما يعينه على منازلة نفسه وقهرها، إذا مالت إلى الشح والبخل بما أنعم الله عليه من النعم والخيرات. قال الحق سبحانه: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً (21) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (23) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (24) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (25)﴾ (المعارج).

ومن أعظم ثمرات المحافظة على الصلاة فى أوقاتها، أنها تسهم فى تنظيم حياة المسلم اليومية؛ حيث تمده بالمدد الربانى الذي يدفعه للتخلص من السلوكات والعادات السيئة، حتى يصبح، بنورها وبركتها، ملتزما بسائر العبادات والطاعات، والسلوكات الحميدة.

ولا يخفى عليك أخي المسلم أن الله خلقنا لكي نعبده، ونعظمه، ونخلص له الطاعة والعبودية، لقوله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات 56). وقوله جل وعلا: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ (البينة 5).

والصلاة أعظم عبادة، وأجل شعيرة، أكرم الله بها عباده المؤمنين. وحسبها شرفا وقدرا؛ أن الله سبحانه فرضها فى السماء السابعة، ليلة الإسراء والمعراج. ولقد أحبها وشُغف بها نبينا ﷺ شغفا شديدا، حتى صارت قرة عينه؛ لقوله صلوات الله وسلامه عليه: "وجُعلت قرة عيني

فى الصلاة" (رواه النسائى). ثم إن الصلاة عماد الدين لقول النبى ﷺ: "رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد" (أخرجه الترمذي وابن ماجة وأحمد).

وللصلاة فضائل ومزايا كثيرة، منها:

- أنها نور لصاحبها فى الدنيا والآخرة، لقول النبى ﷺ: "الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه، فمعتقها أو موبقها" (أخرجه مسلم). ومنها:

- أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر؛ قال الحق سبحانه: "ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ۖ" (العنكبوت 45). ومنها:

- أنها أفضل الأعمال بعد الشهادتين، لحديث عبد اللَّه بن مسعود رضى الله عنه قال: سألت رسول اللَّه ﷺ: "أي العمل أفضل؟ قال: "الصلاة لوقتها" قال: قلت: ثم أيّ؟ قال: "برّ الوالدين" قال: قلت: ثم أيّ؟ قال: "الجهاد في سبيل اللَّه" (متفق عليه). ومنها:

- أنها تكفر الذنوب والمعاصى باستثناء الكبائر، لقول النبى ﷺ: "الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن، إذا اجتنبت الكبائر" (رواه مسلم). ومنها:

- أن انتظارها رباط فى سبيل الله؛ قال رسولنا صلوات الله وسلامه عليه: "ألا أدلكم على ما يمحو اللّه به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول اللّه، قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخُطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط" (رواه مسلم).

ومن فضائلها وخيراتها العميمة؛ حفظ الله للمصلين لقول النبى ﷺ: "من صلى الصبح فهو فى ذمة الله، فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء، فيدركه فيكبه في نار جهنم" (أخرجه مسلم).

وقال القرطبى فى "المفهم" :"وقوله: من صلّى الصبح فهو فى ذمّة الله؛ أي: فى أمان الله، وفى جواره؛ أي: قد استجار بالله تعالى، والله تعالى قد أجاره، فلا ينبغى لأحد أن يتعرض له بضر أو أذى، فمن فعل ذلك فالله تعالى يطلبه بحقه، ومن يطلبه لم يجد مفرًّا ولا ملجأ، وهذا وعيد شديد لمن يتعرض للمصلين، وترغيب حضور صلاة الصبح " (القرطبي، "المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم").

فيا من يتهاون فى أداء صلاته ولا يحافظ عليها؛ بادر بالتوبة النصوح إلى الله، ولا تغتر بشبابك أو كهولتك، فإن الموت يأتى بغتة وليس له سن معلوم؛ إذ يجهز على الكبير، كما يخطف روح الشاب والصغير. واستعد للقاء الله المحتوم بزاد من التقوى والأعمال الصالحة، وحافظ على الصلاة، عمود وأساس الدين، التي، كما ورد في الحديث

النبوي الشريف، إن صلحت صلح سائر عمل المسلم، وإن فسدت فسد سائر عمله. فالله الله فى صلاتك، فإنها نورك، وحياتك، ورأسمالك فى الدنيا والآخرة.

## لا تهْجُر القرآن الكريم

القرآن الكريم كتاب الله العظيم المنزَّل على رسوله الحليم الحكيم، رحمة وهداية للعالمين. وهو حبل الله المتين، من استمسك به هُدي وأفلح، ومن أعرض عنه أنساه الله نفسه، وقد يخسر الدنيا والآخرة.

والقرآن الكريم نور وهداية، ورحمة للبشرية جمعاء؛ ذلك لأن الإنسان لا يستطيع بعقله وحده، معرفة ما ينفعه وما يضره، لأن عقله محدود، كما قد يؤثر هواه فى عقله، فيظن الضرر نفعا والنفع ضررا. ولو وُكِّل الناس إلى عقولهم القاصرة لخبطوا، فى دنياهم، خبط عشواء، ولضلوا وأفسدوا من حيث يظنون أنهم مصلحون. وهذا حال البشرية عندما لا تدين بدين الله ولا تحتكم إليه.

ولذا بعث الله سبحانه الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، وأنزل الكتب المشتملة على الشرائع الربانية الكفيلة بإرشاد الناس، ونفعهم، وإصلاح أحوالهم، وتذكيرهم بعبوديتهم لله وباليوم الآخر.

قال رسول الله ﷺ: "أَلا وإِنِّى تَارِكٌ فيكُمْ ثَقَلَيْنِ؛ أَحَدُهُما كتابُ اللهِ عزَّ وجَلَّ، هُوَ حَبْلُ اللهِ، مَن اتَّبَعَهُ كانَ على الْهُدَى، ومَنْ تَرَكَهُ كانَ على ضَلالَةٍ" (رواه مسلم). ومن أضل وأظلم "ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها" ؟

ولما أعرض المشركون عن دعوة الرسول ﷺ، وهجروا كتاب الله عز وجل قائلين: ﴿ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾

(فصلت 26)، إلى غير ذلك من الأقوال والأفعال الدالة على إعراضهم وهجرهم لما نزل من الوحى الإلهي، شكاهم النبى ﷺ إلى ربه قائلا: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾ (الفرقان 30)، أي؛ أعرضوا عن كلام الله واستخفوا به واتخذوه وراءهم ظهريا.

**- وهجر القرآن نوعان:**

أ- هجره والإعراض عنه مع عدم الإيمان به، وهذا فعل الكفار والمنافقين، أمثال المشركين والمنافقين زمن الرسول ﷺ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ب- هجره مع الإيمان والإقرار به، وهو فعل كثير من المسلمين الغافلين والمقصرين.

ويحدثنا الفقيه العلامة محمد بن قيم الجوزية رحمه الله عن أنواع هجر القرآن عند المسلمين، فيقول: "هَجْرُ القرآنِ أنواعٌ: أحَدُها: هَجْرُ سَماعِهِ والإيمانِ بهِ والإصغاءِ إليهِ، والثانى: هَجْرُ العَمَل به والوقوفِ عند حلالِهِ وحرامِهِ وإنْ قَرَأَهُ وآمَنَ به، والثالثُ: هجرُ تحكيمِه والتحاكُمِ إليه فى أُصولِ الدِّين وفُروعِهِ، واعتقادُ أنَّه لا يُفِيدُ اليقينَ، وأنَّ أدلَّتهُ لفظيَّةٌ لا تُحصِّلُ العِلْمَ، والرابع: هجرُ تدبُّره وتفهُّمِه ومعرفةِ ما أرادَ الْمُتكلِّمُ بهِ منه، والخامسُ: هَجْرُ الاستشفاءِ والتداوي بهِ فى جميع أمراضِ القُلُوبِ وأدوائها؛ فيَطلبُ شِفاءَ دائِهِ مِن غيره ويَهجُرُ التداويَ به، وكلُّ هذا داخلٌ في قولهِ: "وَقَالَ الرَّسُولُ يَارَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ

مَهْجُورًا"، وإنْ كان بعضُ الهَجْرِ أهونَ من بعضٍ" (ابن القيم، "الفوائد").

إن المسلم الذي يهجر تلاوة القرآن، يحرم نفسه من نوره وبركته وهدايته. كما أنه آثم بعصيانه لأمر الله المتعلق بقراءة القرآن وتلاوته؛ قال تعالى: ﴿ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾ (المزمل 18). وقال الرسول ﷺ: " اقْرَؤُوا القُرآنَ فإنهُ يَأْتِي يومَ القِيامَةِ شَفِيعًا لأصحابِهِ" (رواه مسلم). وأوصى نبيُّنا ﷺ أبا ذرٍّ فقالَ: "عليكَ بتِلاوَةِ القُرآنِ وذِكْرِ اللهِ، فإنهُ نُورٌ لَكَ فِي الأرضِ، وذُخْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ" (رواه ابن حبان). وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "إنَّ للهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ" قالُوا: يا رسولَ اللهِ مَنْ هُمْ؟ قالَ: "هُمْ أَهْلُ القُرآنِ، أَهْلُ اللهِ وخَاصَّتُهُ"، (رواه ابنُ ماجه). وقالَ النبيُّ ﷺ: "إنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرآنَ وعَلَّمَهُ" (رواه البخاري). وقال النبيُّ ﷺ: "يُقالُ لصاحب القرآن: اقْرَأْ وارْتَق ورَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ في الدُّنيا، فإنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بها" (رواه الترمذي).

وكما يحرم المسلم الغافل نفسه من تلاوة القرآن الكريم، يحرمها أيضا من الاستماع إليه والإنصات له، فيفوته خير كثير؛ إذ تحصل بالاستماع إليه رحمة في القلب عظيمة؛ قال الحق سبحانه: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف 204).

وقراءة القرآن الكريم قد لا تنفع صاحبها إذا لم يكن متدبرا لمعاني آياته، فمن مقاصد تلاوته؛ فقه كلام الله وفهمه، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (ص

28). فقراءة القرآن بلا تدبر وبقلب ساه؛ هجر له كذلك. وقد ذم الله من لا يتدبر القرآن فقال عز وجل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ ( محمد 24). قال الفقيه ابن القيم رحمه الله: "فلو عَلِمَ الناسُ ما فى قراءة القرآن بالتدبُّر لاشتغلوا بها عن كلِّ ما سواها، فإذا قرأه بتفكُّر حتى مرَّ بآيةٍ هو محتاجٌ إليها فى شفاء قلبه كرَّرها ولو مئة مرَّة، ولو ليلة؛ فقراءةُ آيةٍ بتفكُّر وتفهُّمٍ خيرٌ من قراءة ختمةٍ بغير تدبُّر وتفهُّم، وأنفعُ للقلب، وأدعى إلى حصول الإيمان وذَوْقِ حلاوة القرآن، وهذه كانت عادة السَّلف، يردِّدُ أحدُهم الآيةَ إلى الصباح، وقد ثبت عن النبيِّ ﷺ أنه قام بآيةٍ يردِّدُها حتى الصباح، وهى قولُه :﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، فقراءةُ القرآن بالتفكُّر هى أصلُ صلاح القلب" (ابن القيم، "مفتاح السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة").

ومن أنواع هجر القرآن الكريم؛ هجر العمل به. وما أكثر المسلمين الذين يقرؤون القرآن ويعلمون أحكامه وأوامره ونواهيه، ولا يعملون بها، ولا يتبعونها. قال سبحانه: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأنعام 156). ولقد أخزى الله اليهود وذمهم لتركهم العمل بما فى التوراة، حيث قال عز وجل فى شأنهم: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الجمعة 5).

ومن أنواع هجر القرآن الكريم كذلك؛ هجر الاستشفاء به، مع أن

ربنا عز وجل قد أشار فى كتابه الحكيم إلى خاصية الشفاء التى يشتمل عليها كلامه العزيز؛ إذ يقول سبحانه: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (الإسراء 82)، وقوله جل وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس 57).

ومن أقبح وأشنع أنواع هجر القرآن العظيم؛ هجر تحكيمه والتحاكم إليه، واستبدال أحكامه بأحكام بشرية، مثل الأحكام والقوانين الوضعية. قال الحق سبحانه: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾ (المائدة 51).

هذا وليعلم كل من يهجر القرآن الكريم، ولا يتعاهده بالتلاوة والتدبر، ولا يعمل بمقتضاه، أن القرآن محاجج عن العبد المسلم أو عليه؛ فإما أن يحاجج عنه، أو يحاجج عليه، لقول النبى ﷺ: "والقرآن حجة لك أو عليك" (رواه مسلم)، أي؛ حجة لمن اتبعه وعمل بما فيه، وحجة على من هجره ولم يعمل به.

وثبت فى السنة الصحيحة أن القرآن يشفع يوم القيامة لأصحابه؛ لقول الرسول ﷺ: "اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ" (رواه مسلم).

ولقول ﷺ: "الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ : أَيْ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِى فِيهِ. وَيَقُولُ الْقُرْآنُ : مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ. قَالَ : فَيُشَفَّعَانِ" (رواه أحمد).

وأسباب هجر المسلم الغافل للقرآن الكريم كثيرة، وعلى رأسها؛ ظلمة قلب العبد بإصراره على الذنوب والمعاصى، وتشعب قلبه فى أودية الدنيا، وتعلقه بشهواتها. قال الفقيه العلامة عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسى: "وليتخلَّ التالى من موانع الفهم، ومن ذلك أن يكون التالى مصرًا على ذنب، أو متصفاً بكبر، أو مبتلى بهوى مطاع، فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصداه، فهو كالجرب على المرآة، يمنع من تجلى الحق، فالقلب مثل المرآة، والشهوات مثل الصدأ، ومعانى القرآن مثل الصور التى تتراءى فى المرآة، والرياضة للقلب بإماطة الشهوات مثل الجلاء للمرآة". (ابن قدامة، "مختصر منهاج القاصدين").

لا شك أن هاجر القرآن العظيم مغبون، وفى خسران ما بعده خسران، لحرمان نفسه من رحمة الله، ونور كتابه العزيز، الذي يهدي إلى الصراط المستقيم، ويمنح العبد المؤمن السعادة الحقيقية، والحياة الطيبة، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء 9). كما أن هذا المسلم الغافل، بهجره لكلام الله عز وجل، قد فوَّت على نفسه فرصة التجارة الرابحة مع الله، لقوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ (فاطر

29).

ألا فليحذر المسلم الذي يهجر القرآن الكريم أن يحشر فى زمرة الظالمين لأنفسهم بعد أن أورثهم الله كتابه العزيز. قال الحق سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ (فاطر 32).

## اجتنب الهوى وسبيل الشيطان

ليس أَضَرَّ على قلب الإنسان وحياته من اتباع الهوى والشيطان؛ إذ كلما اتبع الإنسان هواه والشيطان، وأعرض عن العقل والقرآن، ازداد تماديا في غيه، وتنكر لعبوديته لله، ونعمه عليه، وكان الشقاء حليفه، والهلاك مصيره عاجلا وآجلا. ولقد نهانا الحق سبحانه، عن اتباع الهوى، وحذرنا من الوقوع في أسره.

### - ذكر الهوى في القرآن

قال الحق سبحانه: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ (ص 26).

وقال الحي القيوم: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٣٩﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ (النازعات 40).

وقال الحكيم العليم: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ (الأعراف 176).

وقال السميع البصير: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا

﴿ يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (القصص 50).

وقال الملك الحق المبين: ﴿ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الجاثية 23).

**- حديثان نبويان متعلقان بالهوى**

روى مسلم فى صحيحه عن حذيفة بن اليمان رضى اللهُ عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا، لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ."

وكان النبى ﷺ يتعوذ بالله من هوى النفس، فروى الترمذي فى سننه من حديث قطبة بن مالك رضى اللهُ عنه قال: كان النبى ﷺ يقول: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ، وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَهْوَاءِ".

**- بعض أقوال السلف في ذم الهوى**

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "إن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل، أما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة". (رواه أحمد في "الزهد").

وقال ابن الجوزي رحمه الله:

"اعلم أن مطلق الهوى يدعو إلى اللذة الحاضرة، من غير فكر فى عاقبة، ويحثّ على نيل الشهوات عاجلاً، وإن كانت سبباً للألم والأذى فى العاجل، ومنع لذات فى الآجل، فأما العقل فإنه ينهى نفسه عن لذةٍ تعقب ألمًا، وشهوة تورث ندمًا، وكفى بهذا القدر مدحًا للعقل، وذمًا للهوى." (ابن الجوزي، "ذم الهوى").

**- الهوى سبب الضلال**

لقد خلق الله الإنسان مفطورا على عبادته، خاضعا لألوهيته، إلا أنه ضل طريق الحق، وتنكر لعبوديته لله ونعمه عليه لما جعل الهوى صنما يعبد من دون الله، وحكما يصدر عنه ويحتكم إليه. لقد زين له الشيطان عمله، وأغواه كما أغوى آدم عليه السلام. قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: "إنى خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا" (رواه مسلم).

وإذا كان العبد قد أُلهم الفجور والتقوى لقوله عز وجل: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَيٰهَا ﴾ (الشمس 8)، فإنه هو الذي يختار الفجور أو التقوى، واستجابته للشيطان، حصلت لكونه مال إلى هوى نفسه وأخلد إلى الأرض وشهوات الدنيا. قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ اِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴾ (الأنعام 120). وبذلك

يكون هذا العبد الضال الفاجر قد استبدل الضلال بالهدى بمحض اختياره وإرادته. قال الحق سبحانه: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ (البقرة 15).

**- اتباع الهوى مذموم عقلا ونقلا**

لا يخفى على أولى الألباب والنهى، أن العقل والنقل ينهيان عن اتباع الهوى لكون اتباعه يفضى بصاحبه إلى الشقاء، والهلاك المحقق عاجلا وآجلا. وإن ذم اتباع الهوى عقلا أمر كضوء النهار؛ لا يحتاج إلى دليل، بل تنطق به الفطرة السليمة. وأما ذمه نقلا فتشهد له كثير من الآيات القرآنية البينات.

"وكل من له مسكة من عقل يعلم أن فساد العالم وخرابه إنما نشأ من تقديم الرأي على الوحى، والهوى على العقل، وما استحكم هذان الأصلان الفاسدان فى قلب إلا استحكم هلاكه، وفى أمة إلا فسد أمرها أتم فساد، فلا إله إلا الله كم نفى بهذه الآراء من حق، وأثبت بها من باطل، وأميت بها من هدى، وأحيى بها من ضلالة؟ وكم هدم بها من معقل الإيمان، وعمر بها من دين الشيطان؟ وأكثر أصحاب الجحيم هم أهل هذه الآراء الذين لا سمع لهم ولا عقل، بل هم شر من الحمر، وهم الذين يقولون يوم القيامة: "لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير". (ابن القيم، "إعلام الموقعين عن رب العالمين").

## - اتباع الهوى أصل كل فساد

إذا كان "المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراج المكلَّف عن داعية هواه؛ حتى يكون عبدًا لله اختيارًا، كما هو عبد لله اضطرارًا."، فإنه يتوجب على العبد المسلم مجاهدة نفسه على الدوام لتخليصها من قيود الهوى. ولن تصح عبوديته لله ما لم يجعل هذه المجاهدة نصب عينيه. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت 69). ومن الآيات التي تشير إلى أن اتباع الهوى يفضي إلى الفساد؛ قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (الكهف 28).

قال المفسر السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾ غفل عن الله، فعاقبه بأن أغفله عن ذكره." وَاتَّبَعَ هَوَاهُ" أي: صار تبعا لهواه، حيث ما اشتهت نفسه فعله، وسعى في إدراكه، ولو كان فيه هلاكه وخسرانه، فهو قد اتخذ إلهه هواه، كما قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ (الآية)، وَكَانَ أَمْرُهُ أي: مصالح دينه ودنياه " فُرُطًا " أي: ضائعة معطلة". (تفسير السعدي).

ومما يدل على أن اتباع الهوى أصل كل فساد؛ كون الذي يتبع هواه قد جعله إماما وقائدا له، يقتدي به ويتبعه حيثما تولت مراكبه: فلا يستحسن إلا ما استحسنه هواه، ولا يستقبح إلا ما استقبحه هواه.

وهكذا تريه نفسه الحسن قبيحا والقبيح حسنا، والحق باطلا والباطل حقا؛ وأي فساد أعظم من هذا الفساد؟. فعبد الهوى لا يستند فى نظره إلى الأشياء وحكمه عليها انطلاقا من معايير ضابطة، وأدلة قاطعة، بل يدفع كل دليل مخالف لهواه. إن اتباع الهوى يطمس نور العقل، ويعمى بصيرة القلب، ويفضى إلى فساد الفرد والمجتمع، ويجعل الناس يخبطون خبط عشواء وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا. وبما أن مسالك الهوى وحبائله غالبا ما تخفى عن الإنسان الغافل، يظن هذا المغبون أن لا سلطان البتة للهوى عليه، وأنه سيد نفسه الآمر والناهى لها. ناهيك عن الأخلاق والصفات الذميمة التى يورثها الهوى من كبر، وعجب، وغرور، ورياء، وحسد، وغيرها من الصفات الداعية إلى الفساد والظلم والطغيان.

**- الهوى إله يعبد**

لا بد للإنسان من إله يعبده؛ فإما أن يعبد الله وإلا عبد هواه. وهذان المعبودان؛ الله والهوى، لا يجتمعان فيه قلب واحد؛ إذ لا يستقيم عقلا خضوع القلب لمعبودين مختلفين ومتضادين. قال ابن القيم رحمه الله: "التوحيد واتباع الهوى متضادان، فإنَّ الهوى صنم، ولكلِّ عبدٍ صنم فى قلبه بحسب هواه، وإنما بعث الله رسله بكسر الأصنام وعبادته وحده لا شريك له، وليس مراد الله سبحانه كسر الأصنام المجسدة وترك الأصنام التى فى القلب، بل المراد كسرها من القلب أولًا". (ابن القيم، "روضة المحبين").

ويشتمل القرآن على آيتين صريحتين فى اتخاذ الهوى إلها ومعبودا: قال الحق سبحانه: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ (الفرقان 43-44). وقال العليم الحكيم: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (الجاثية 23).

ورغم أن الإنسان الذي يعبد هواه يعلم أن المستحق للعبادة حقا هو الله، بل قد يكون ذلك مقاله. لكن حاله، فى التعلق بهواه، يفيد أن المعبود الحقيقى الذي يصرف له عبادته هو هواه لا غير. ولذا قال ابن عباس رضى الله عنه: " كان الرجل فى الجاهلية يعبد الحجر الأبيض زمانًا، فإذا رأى غيره أحسن منه عبد الثانى وترك الأول" (تفسير ابن كثير: 596/5).

ويبدو أن الجاهلية القديمة لا تختلف عن الجاهلية الحديثة من حيث اتباع الهوى وعبادته، رغم أن الجاهلية الأولى أمعن في الجهل والتخلف والتوحش. وتتجلى عبادة الهوى عند الغربيين، من المسيحيين، واليهود، والملاحدة، في تقديسهم للحرية بمفهومها الحيواني، تلك الحرية التي أباحت لهم فعل المنكرات والفواحش، حيث استبدلوا الأخلاق والقيم المادية الرذيلة والساقطة، بالقيم الفضيلة التي دعت إليها الشرائع الإلهية. فسقطوا في مستنقع الأهواء والشهوات المُهلِكة. وجعلوا من القانون الوضعي حاميا لهم يحميهم، ويشجعهم

على القيام بالسلوكات والأعمال المحرمة والمنافية للفطرة. كما عملوا على محاربة كل الأصوات والدعوات التي تدعو إلى التدين والالتزام بالاستقامة، وتبني الفضائل، والعمل بالمبادئ والمقاصد الدينية النبيلة. كل هذه السلوكات والأفعال المشينة المخالفة لما أمر الله به، انتصارا منهم للهوى إلههم ومعبودهم الأوحد. ولقد هوى بهم هذا الهوى المعبود إلى أسفل السافلين، وانسلخوا من الفطرة التي فطرهم الله عليها، فابتلاهم الله بالأمراض البدنية والنفسية التي لم تكن فيمن قبلهم، وتفكك بناء الأسرة لديهم، وضاعت الأنساب والأرحام، وكثرت الحروب والفتن بينهم، واستفحل الانتحار بين شبابهم الضال، وكثر العري والزنا واللواط، وغيرها من الأوصاف والسلوكات البهيمية. قال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (الحجر 72).

## اجتنب سبيل الشيطان

### - ذكر الشيطان في القرآن

ذكر الله الشيطان في القرآن الكريم عشرات المرات؛ منها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴾ (البقرة 168).

وقال اللطيف الخبير: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةٗ مِّنْهُ وَفَضْلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾ (البقرة 268).

وقال الغفور الرحيم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴾ (آل عمران 155).

وقال البر الرحيم: ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام 43).

وقال سبحانه: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٞ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأعراف 200).

وقال الملك القدوس: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ (الأعراف 201). إلى غيرها من الآيات البينات التي ورد فيها ذكر الشيطان اللعين، ومكره، وإغوائه،

وعداوته للإنسان.

يتبين من هذه الآيات البينات، أن الله عز وجل حذرنا من السير في طريق الشيطان واتباع خطواته، كي لا نضل ونشقى، ونخسر الدنيا والآخرة.

وأخبرنا سبحانه وتعالى أن الشيطان أعدى أعدائنا بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (فاطر 6). وأشار القرآن في سورة "الناس" إلى أن الشيطان يوسوس للإنسان، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾ (الأعراف 20). كما أشار في آياته الحكيمة إلى أن الشيطان الرجيم يوحي لأوليائه، ويزين لهم الشهوات كي يوقعهم في المعاصي والمهلكات؛ قال العلي الكبير: ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ ( العنكبوت 38). وذكر الله في كتابه الحكيم أن الشيطان يؤذي الإنسان عن طريق المس؛ قال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ (البقرة 275). وحذر الله عز وجل عباده من عبادة الشيطان بقوله: ﴿ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾ (يس 60).

- **ذكر الشيطان في السنة النبوية**

في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: "ذُكِرَ عند النبي ﷺ رجلٌ، فقيل: ما زال نائمًا حتى أصبح، ما قام إلى الصلاة، فقال: "ذاك رجلٌ بَالَ الشيطان في أذنه".

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: "يعقِدُ الشيطان على قافيةِ رأسِ أحدكم إذا هو نام ثلاثَ عُقَدٍ، يضرب كل عقدة مكانها: عليك ليلٌ طويل فارقُدْ، فإن استيقظ فذكر الله، انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عُقَدَه كلها، فأصبح نشيطًا طيبَ النفس، وإلا أصبح خبيثَ النفس كسلان"، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا استيقظ أحدكم من منامه فلْيَسْتَنْثِرْ ثلاثًا؛ فإن الشيطان يبيت على خيشومه".

وفي الحديث الصحيح: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم". وقال النبي ﷺ: "وأعوذ بك أن يتخبَّطني الشيطان عند الموت". (رواه النسائي).

وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه، أنه سمع النبي ﷺ يقول: "إذا دخل الرجل بيته، فذكر الله عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيتَ لكم، ولا عَشاء، وإذا دخل، فلم يذكر الله عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيتَ، وإذا لم يذكر الله عند طعامه،

قال: أدركتم المبيت والعَشاء".

وروى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم " وقال أيضا : "إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم، فإن ذكر الله تعالى خنس، وإن نسي الله التقم قلبه ".(أخرجه أبو يعلى في مسنده والبيهقي في شعب الإيمان).

وقال تعالى في الحديث القدسي" :خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا" (رواه مسلم).

## - النهي عن اتباع خطوات الشيطان

شريعة الله عز وجل أمر ونهي؛ أمر بطاعته ونهي عن معصيته. ولقد بين لنا الحق سبحانه سبيل الطاعة، وحذرنا من السير في طرق الغواية والضلالة، بقوله الحكيم: ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيماً فَٱتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام 153). فالصراط المستقيم هو صراط الله الهادي إلى خيري الدنيا والآخرة. والسبل من فعل الشيطان وعمله الخبيث. فمن حاد وزاغ عن صراط الله، سلك لا محالة سبل الشيطان، وأضحى ضحية من ضحاياه، وخسر دنياه وأخراه. وليس أنفع للعبد المريد للنجاة والجنة، من اجتناب خطوات الشيطان التي حذرنا الله منها وأمرنا باجتنابها.

قال المفسر عبد الرحمن السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ (النور 21).

"وخطوات الشيطان، يدخل فيها سائر المعاصي المتعلقة بالقلب، واللسان والبدن. ومن حكمته تعالى، أن بين الحكم، وهو: النهي عن اتباع خطوات الشيطان. والحكمة وهو بيان ما في المنهي عنه، من الشر المقتضي، والداعي لتركه فقال: "وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ؛ أي: الشيطان "يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ "؛ أي: ما تستفحشه العقول والشرائع، من الذنوب العظيمة، مع ميل بعض النفوس إليه. "وَالْمُنْكَر"؛ وهو ما تنكره العقول ولا تعرفه. فالمعاصي التي هي خطوات الشيطان، لا تخرج عن ذلك، فنهى الله عنها للعباد، نعمة منه عليهم أن يشكروه ويذكروه، لأن ذلك صيانة لهم عن التدنس بالرذائل والقبائح، فمن إحسانه عليهم، أن نهاهم عنها". (السعدي، "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان").

إن المسلم الغافل كثيرا ما يستدرجه الشيطان عن طريق الإغواء، فيوقعه في حبائله، ثم يحكم قبضته عليه، بعد أن يشرع الغافل في اتباع خطواته خطوة خطوة، وهو لا يشعر، فيزين له التوسع في المباحات مما قد يفضي به إلى فعل المحرمات. وقد يوحي إليه بأن فعل الذنوب الصغيرة لا يضر مع الطاعة والاستغفار، فيكثر منها المسلم الغافل إلى أن يقسو قلبه، فيلج باب المحرمات، وقد يقدم على فعل الكبائر والموبقات والعياذ بالله. وهذا مآل من اتبع خطوات الشيطان. فعلى المسلم ألا

يحتقر ذنبا مهما صغر، وليتذكر أن معظم النار من مستصغر الشرر، وأن من حام حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، وأن الصغائر بريد الكبائر.

**- عداوة الشيطان للإنسان**

يخبرنا القرآن الكريم أن العداوة بين الشيطان والإنسان قديمة قدم آدم عليه السلام، وذلك أن إبليس أعلن عنها حين أبى وامتنع عن السجود لآدم؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ (الكهف 50)

إن الشياطين مأمورون ومكلفون من قبل إبليس بإضلال العباد وإفساد حياتهم، والزجّ بهم في ظلمات الجهل، وإذكاء نار الحرب والفتنة بينهم، وإيقاعهم في أودية الهلاك من خلال تزيين شهوات النفس الأمارة بالسوء، ودفع القلوب المريضة إلى الخوض في الشبهات المتعلقة بالاعتقاد، وإلى اقتحام حِمى الله، أي؛ محارمه، مما يفضي إلى الإكثار من الذنوب والمعاصي والاستهتار بالمحرمات. فلا شغل للشيطان إلا القيام بهذه الأعمال وما شاكلها من السلوكات الضارة والمؤذية لبني آدم، كي يصبحوا أعضاء في حزبه، ويكونوا مثله من أصحاب السعير.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ: وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ! لَا أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ. فَقَالَ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ

مَااسْتَغْفَرُونِي". (رواه أحمد).

**- سبل دفع أذى الشيطان وكيده**

يستخلص من مقاصد الآيات والأحاديث النبوية، وأقوال العلماء والمفسرين المتعلقة بالشيطان، أن هذا العدو اللعين لا همَّ له إلا غواية بني آدم، والعمل على إضلالهم وإفساد حياتهم، ليكونوا من حزبه وأوليائه. وبما أننا لا نرى أعداءنا الشياطين، ولا نطلع على ما يقومون به من تخطيطات جهنمية من أجل إضلالنا، وإبعادنا عن الصراط المستقيم، فإن الوحي القرآني والسنة النبوية قد أرشدانا إلى الوسائل الكفيلة بدفع أذاهم، وعدم الوقوع في حبائلهم ومصائدهم.

ومن بين هذه الوسائل الفعالة؛ وسيلة العلم والتفقه في الدين. قال بعض العلماء: " فقيه واحد أشد على إبليس من ألف عابد." وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: "من فقه العبد أن يتفقد إيمانه وما نقص منه، ومن فقه العبد أن يعلم نزغات الشياطين من أين تأتيه."

ومنها: دوام ذكر الله عز وجل. وذكر الله يحول بين الذاكر والشيطان لأنه بمثابة الحصن الذي يحمي العبد الذاكر المنيب. بينما إذا كان العبد غافلا لا يذكر الله على كل حال؛ فإن الشيطان يلتقم قلبه، ويشرع فى الوسوسة والصد عن الطاعة. وعن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: "الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا ذكر الله خنس، وإذا غفل وسوس" (رواه البخاري تعليقا).

ومنها: الاستعاذة بالله منه :ولقد كان رسول الله ﷺ، فيما رواه البزار عن أبى سلمة بن عبد الرحمن، إذا قام من الليل يقول: "اللهم إنى أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ونفثه ونفخه"، وقال: وكان رسول الله ﷺ يقول: "تعوذوا بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه".

وأمرنا الله أن نتعوذ به سبحانه من الشياطين، فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٨﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٩﴾﴾ (المؤمنون). وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ (الناس). إلى غير ذلك من الوسائل الإيمانية مثل: الصدق والإخلاص، وتحقيق العبودية لله، ولزوم الجماعة، والمحافظة على صلاة الجماعة، واجتناب ما حرم الله، والعمل بالكتاب والسنة. ولقد حذرنا الله سبحانه وتعالى من اتباع الشيطان واتخاذه وليا من دونه. وأمرنا رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، باجتناب طريقه، وتوقى مجالسه، وسد الطرق والمسالك التي يسلكها للوصول إلى القلوب.

نعم، إن الله سبحانه وتعالى قد خول إبليس وجنوده من الشياطين قوة كبيرة، وأمدهم بأسباب يستطيعون من خلالها إفساد البشر وإضلالهم. قال رب العزة: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ

أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ۝١٦﴾ (الأعراف). لكن ليس معنى هذا أن الشيطان يضل ويفسد ويغوي من يشاء ومتى شاء، وإنما يفعل ذلك بمن هو مهيأ نفسيا وعقديا وسلوكيا، لتلقى إيحاءات الشيطان وإغراءاته ووساوسه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا﴾ (الإسراء 65). وقال أيضا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ (الأعراف 201)، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ﴾ (الزخرف 35).

وعندما يجد الشيطان أسوار الحصن متينة وأبوابه موصدة، لا يستطيع فعل شيء، بينما إذا كانت الأسوار مليئة بالثلم والثقوب، أو الأبواب مفتوحة على مصراعيها، فإنه يندفع إلى الداخل، ويشرع في الإفساد والهدم والتخريب. والإنسان الذي ينحرف عن سنن الفطرة، ويعرض عن تعاليم ربه المبينة في الكتاب والسنة، ويلقى بنفسه في عالم الشهوات والرذائل والأهواء، يضعف إرادته الشخصية، ويدعو الشيطان لكي يبسط سلطانه عليه، ويأخذ بناصيته ويقوده ويوجهه أنى يشاء.

## صِلْ رحِمَك

إن للرحم في الإسلام مكانة عظيمة ومنزلة رفيعة. وحسبها شرفا أن الله اشتق إسمها من إسمه الرحمان، وجعلها معلقة بعرشه المجيد. ولقد أمرنا الله سبحانه ورسوله الكريم بالمحافظة عليها من خلال الحرص على صلة الأرحام، وزيارة الأقارب مع الإحسان إليهم. كما حذّرانا من قطيعة الرحم المستوجبة لعقاب الله عز وجل.

**- الرحم في القرآن**

ورد لفظ "رحم" بمعنى القرابة في أربع آيات بينات، وهي:

قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِے خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاٗ كَثِيراٗ وَنِسَآءٗۖ وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِے تَسَّآءَلُونَ بِهِۦ وَالْاَرْحَامَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباٗ ﴾ (النساء 1).

وقال الرحمن الرحيم: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْاَرْحَامِ بَعْضُهُمُۥٓ أَوْلَىٰ بِبَعْضٖ فِے كِتَٰبِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَےْءٍ عَلِيمٌۖ ﴾ (الأنفال 76).

وقال اللطيف الخبير: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْاَرْحَامِ بَعْضُهُمُۥٓ أَوْلَىٰ بِبَعْضٖ فِے كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُومِنِينَ وَالْمُهَٰجِرِينَ ﴾ (الأحزاب 6).

وقال الحي القيوم: ﴿ فَهَلْ عَسِيتُمُۥٓ إِن تَوَلَّيْتُمُۥٓ أَن تُفْسِدُواْ فِے ٱلْاَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْۖ (٢٣) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمُۥٓۖ (٢٤) ﴾ (محمد).

- **الرحم في السنة النبوية**

عن أبى أيوب الأنصاري رضى الله عنه أن رجلا قال للنبى ﷺ: "أخبرنى بعمل يدخلنى الجن"؛ فقال النبى ﷺ: "تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم" (متفق عليه).

وعن عائشه رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: "الرحم معلقه بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله". (رواه البخاري ومسلم).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال؛ قال رسول الله ﷺ: "من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه". (رواه البخاري ومسلم).

وعن أبي هريره رضي الله عنه قال؛ قال رسول الله ﷺ: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا أو ليصمت". (رواه البخاري ومسلم).

وعن سلمان بن عامر الضبي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "الصَّدقةُ على المسْكينِ صدقةٌ، وعلى ذي القرابةِ اثنتان: صدقةٌ وصلةٌ". (أخرجه الترمذي وابن ماجة والنسائي).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "صنائع

المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تُطفئ غضبَ الربِّ، وصِلَةُ الرَّحِم تزيد في العمر" (أخرجه الطبراني في الكبير).

وعن زبير بن مطعم رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: "لا يدخل الجنه قاطع". (أخرجه مسلم).

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، قالت: "قال رسول الله ﷺ: "صلةُ الرحمِ وحسنُ الجوارِ وحسنُ الخلقِ يُعمِّرانِ الديارَ ويزيدانِ في الأعمار". (أخرجه أحمد).

وقال رسول الله ﷺ: "وكل رحم آتية يوم القيامة أمام صاحبها تشهد له بصلة إن كان وصلها وعليه بقطيعة إن كان قطعها". (رواه البخاري).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ليس شيء أُطِيع الله فيه أعجل ثوابًا من صلة الرحم وليس شيء أعجل عقابًا من البغي وقطيعة الرحم". (أخرجه البيهقي في السنن).

يستخلص من هذه الأحاديث النبوية الشريفة أن للرحم في الاسلام مكانة عظيمة ومنزلة رفيعة، ولها أثر بارز في تقوية العلاقات الاجتماعية بين الأقارب وأولي الأرحام. ومن شدة قدسيتها أن جعلها الله معلقة معلقة بعرشه؛ تدعو خالقها أن يصل من يصلها، ويقطع من قطعها.

ومن عظيم منزلتها أن قرن الله تقواه بتقوى الرحم؛ قال سبحانه وتعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ (النساء 1).

قال الامام المفسر بن العربى المعافري رحمه الله: "المعنى: اتقوا الله أن تعصوه، واتقوا الأرحام أن تقطعوها، وقد اتفقت الملة على أن صلة ذوي الأرحام واجبة، وأن قطيعتها محرمة". (ابن العربى: "أحكام القرآن").

"واعلم أن الصلة تكون بالمال، وتكون بالزيارة، وبالإحسان وبالصفح فى الأقوال، وبالعفو فى الأفعال وبالألفة فى المحبة والاجتماع، وغير ذلك من معانى التواصل والتراحم. هذا فى الدنيا، وأما من مات من القرابات فصلتهم تكون بالاستغفار لهم، والدعاء فى الأوقات التى ترجى له فيها الإجابة" (عبد الجليل القصري، "شعب الإيمان").

**- بعض أقوال السلف في الرحم**

قال الحسَنُ البَصريُّ: "إنَّ لأهلِ التَّقوى علاماتٍ يُعرَفون بها: صِدقُ الحديثِ، والوفاءُ بالعَهدِ، وصِلةُ الرَّحِمِ، ورَحمةُ الضُّعَفاءِ...". "أبو نعيم الأصفهانى، "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء").

ولمَّا حضَرَت المُهَلَّبَ بنَ أبي صُفرةَ الوفاةُ قال لولَدِه وأهلِه: "أوصيكم بتقوى اللَّهِ، وصلةِ الرَّحمِ؛ فإنَّ تقوى اللَّهِ تُعقِبُ الجنَّةَ، وإنَّ صلةَ الرَّحمِ تُنسئُ الأجَلَ، وتُثري المالَ، وتجمَعُ الشَّملَ، وتُكثِرُ العَدَدَ، وتَعمُرُ الدِّيارَ،

وتُعِزُّ الجانب " (أسامة بن منذر، "لباب الآداب").

**- أمر الله عباده باتقاء قطيعة الرحم**

يشتمل الذكر الحكيم على كثير من أوامر الله سبحانه لعباده، وكلها تنطوي على منافع وفوائد للعبد العامل بها، عاجلا وآجلا، أي؛ في الدنيا والآخرة. وغني عن البيان ألا سعادة للعبد إلا باتباع أوامر الشرع واجتناب نواهيه، وأن الشقاوة والخسارة في العصيان وترك الاتباع.

قال العزيز الحكيم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء 1). تشتمل هذه الآية الكريمة على أمرين إلهيين عظيمين؛ أمر بتقوى الله عز وجل، وأمر بصلة الأرحام وعدم قطعها. لقد قَرَن سبحانه الأمْرَ بتقواه بالأمربِصلة الأرحامِ والأقارب والنهي عن قطيعَتِها؛ إذ كما أن قيام العبد بحقِّ الله تعالى أمر واجب، كذلك القيامُ بحقوق العباد لا سيما الأقربين وذوي الأرحام منهم. والمتهاون بحقوق الله المضيع لها، تهون عليه حقوق العباد، ويكون لها أضيع. ومن لم يشكر الناس لا يشكر الله، كما جاء في الحديث.

**- قطيعة الرحم من أسباب الفساد**

إن قطيعة الرحم تعد من الكبائر الكبيرة الموجبة للحرمان من رحمة الله؛ لكونها تفضى الى شيوع الفساد الاجتماعى والأخلاقى. قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ

﴿أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٤﴾﴾ (محمد). قال المفسر ابن كثير رحمه الله: "ولهذا قال الله تعالى أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم. وهذا نهي عن الإفساد فى الأرض عموما، وعن قطع الأرحام خصوصا. بل قد أمر الله تعالى بالإصلاح فى الأرض وصلة الأرحام؛ وهو الإحسان إلى الأقارب فى المقال والأفعال، وبذل الأقوال. وقد وردت الأحاديث الصحاح والحسان بذلك عن رسول الله ﷺ، من طرق عديدة ووجوه كثيرة". (ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم").

ومن عظم جُرم قطيعة الرحم؛ أن الله سبحانه وتعالى قد توعد باللعنة من وقع فيها وتعمدها وأصر على التمادي فى اقترافها؛ اذ قال سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ (محمد 24). قال المفسر الطبري رحمه الله: "هؤلاء الذين يفعلون هذا يعنى الذين يفسدون ويقطعون الأرحام، الذين لعنهم الله فأبعدهم من رحمته، فأصمهم بمعنى فسلبهم فهم ما يسمعون بآذانهم من مواعظ الله تعالى فى تنزيله، وأعمى أبصارهم بمعنى وسلبهم عقولهم فلا يتبينون حجج الله سبحانه، ولا يتذكرون ما يرون من عبره وأدلته". (الطبري، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن").

ومن عظم جُرمها أيضا؛ منع صاحبها من دخول الجنة لقول النبى ﷺ: "لا يدخل الجنه قاطع". (رواه مسلم)؛ يعنى قاطع الرحم. قال الإمام النووي: "هذا الحديث يتأول تأويلين سبقا في نظائره في كتاب

الإيمان: أحدهما حمله على من يستحل القطيعة بلا سبب ولا شبهة بتحريمها، فهذا كافر يخلد فى النار ولا يدخل الجنة أبدا. والثانى معناه ولا يدخلها فى أول الأمر مع السابقين، بل يعاقب بتأخره القدر الذي يريده الله تعالى." (النووي، "شرح صحيح مسلم").

ومن عظم جرمها كذلك؛ تعجيل العقوبة في الدنيا كما جاء في الحديث المذكور آنفا. ثم إن الله حشرمرتكبي هذه الكبيرة مع الخاسرين؛ حيث قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ (البقرة 26). وإذا كان التاجر المفلس الخاسر؛ يخسر في تجارته بضياع رأسماله أو شطر منه، فإن قاطع الرحم يقع في خسارة أفظع وهي حرمانه من رحمه الله عز وجل.

ومن عظم جرمها كذلك؛ الحرمان من قبول العمل، لقول النبى ﷺ: "إن أعمال بنى آدم تعرض كل خميس ليلة الجمعه فلا يقبل عمل قاطع". (أخرجه أحمد والبيهقى)، بمعنى أن قاطع الرحم المسيء إلى ذوي رحمه بالهجر، وعدم القيام بواجبه نحوهم، لا يقبل عمله، أي؛ لا يثاب عليه، كما يبينه منطوق الحديث النبوي.

وليعلم المسلم أن مما يخفف من وطأة المشكلات الاجتماعية والنفسية، ومن الشعور بالغربة، والخوف من المستقبل؛ ما شرعه الله وأمر به من صلة الأرحام، والتضامن الأسري، والترابط القرابي، والتعاون

الأُخَوي.

هذا، ولا يظنن المسلم المُقصِّر، عمدا أو تهاونا، في واجبات القرابة والرحم والتكافل الأسري والاجتماعي، أنه معذور بسبب ضغوط الحياة ومشاكلها. فكما أنه يدبر أمور حياته ومصالحه الخاصة، رغم تلك الضغوط، فإنه مطالب شرعا بالقيام بأمور وواجبات القرابة والرحم، والأخوة والتكافل قدر الاستطاعة، وإلا فقد يغدو آثما مُفسِدا وهو لا يشعر، كما قد يدخل تحت وعيد قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٣) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ (٢٤)﴾ (محمد).

**- بر الوالدين**

لا يخفى على المسلم أن بر الوالدين والإحسان إليهما من أوجب الواجبات، وأعظم الوصايا التي أوصت بها وحثت عليها جميع الشرائع الإلهية. قال الحق سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤)﴾ (الإسراء 23-24). تشير الآية بوضوح، إلى أن قبول عبادة العبد يستلزم شرط بر الوالدين، ولذا قرن الله سبحانه عبادته ببرهما والإحسان إليهما. ولقد ثبت بالأدلة القطعية من خلال الكتاب والسنة، أن بر الوالدين وصلتهما والقيام بحقوقهما،

أعظم أنواع القرابة والصلة؛ حيث أن الإحسان إليهما مقدم على غيرهما من أولي الأرحام.

قال العلامة المفسر عبد الرحمن السعدي رحمه الله: "وَقَضَى رَبُّكَ " قضاء دينيا وأمر أمرا شرعيا "أَنْ لَا تَعْبُدُوا" أحدا من أهل الأرض والسماوات الأحياء والأموات "إِلَّا إِيَّاهُ"، لأنه الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي له كل صفة كمال، وله من تلك الصفة أعظمها على وجه لا يشبهه أحد من خلقه، وهو المنعم بالنعم الظاهرة والباطنة، الدافع لجميع النقم، الخالق الرازق، المدبر لجميع الأمور، فهو المتفرد بذلك كله وغيره ليس له من ذلك شيء.

ثم ذكر بعد حقه القيام بحق الوالدين فقال: "وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا " أي: أحسنوا إليهما بجميع وجوه الإحسان القولي والفعلي، لأنهما سبب وجود العبد، ولهما من المحبة للولد والإحسان إليه والقرب ما يقتضي تأكد الحق ووجوب البر.

" إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا " أي: إذا وصلا إلى هذا السن الذي تضعف فيه قواهما ويحتاجان من اللطف والإحسان ما هو معروف، "فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ، وهذا أدنى مراتب الأذى نبه به على ما سواه، والمعنى لا تؤذهما أدنى أذية" ."وَلَا تَنْهَرْهُمَا"، أي: تزجرهما وتتكلم لهما كلاما خشنا"،" وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا " بلفظ يحبانه، وتأدب وتلطف بكلام لين حسن، يلذ على قلوبهما، وتطمئن به نفوسهما، وذلك

يختلف باختلاف الأحوال والعوائد والأزمان".. (السعدي، "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان").

ولقد بلغ من عناية الله بأمر الوالدين وحقوقهما أن رسوله ﷺ، قدم الإحسان إلى الوالدين على الجهاد. فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: جاء رجل يستأذن النبي ﷺ في الجهاد، فقال: "أحي والداك؟" قال: نعم. قال: "ففيهما فجاهد". (أخرجه البخاري). وعن أبي عمرو الشيباني، قال: حدثنا صاحب هذه الدار، وأشار إلى دار عبد الله بن مسعود، قال: سألت رسول الله ﷺ: "أي العمل أحب إلى الله عز وجل؟ قال: "الصلاة لوقتها". قلت: ثم أي؟ قال: "بر الوالدين". قلت: ثم أي؟ قال: "الجهاد في سبيل الله". (أخرجه البخاري).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، مَنْ أحقُّ الناس بِحُسن صَحَابَتِي؟ قال: "أمك"، قال: ثم مَنْ ؟ قال: "أمك"، قال :ثم مَنْ؟ قال: "أمك"، قال :ثم مَنْ؟ قال: "أبوك

هذا وإن بر الوالدين والإحسان إليهما باب عظيم من أبواب الجنة، لا سيما عند بلوغهما الكِبَر والشيخوخة. فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "رغم أنفه، رغم أنفه، رغم أنفه، قيل من يا رسول الله؟ قال: من أدرك والديه عند الكبر، أحدهما أو كليهما، ثم لم يدخل الجنة". (أخرجه مسلم).

- **كيف نصل الرحم؟**

إن لصلة الرحم مظاهر كثيرة ووسائل متنوعة، يستطيع المسلم من خلالها القيام بواجبه تجاه ذوي رحمه. من بينها:

- تفقد أحوال الأقارب بزيارتهم، أو دعوتهم إلى وليمة أو طعام، أو استضافتهم وإكرامهم، مما يقوي أواصر المودة، والألفة، والمحبة.

- تخللهم بالصدقات والهدايا، لا سيما إذا كانوا فقراء محتاجين. قال رسول الله ﷺ: "إن الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم صدقة وصلة." (رواه النسائي).

- الحرص على تلبية دعوتهم، ومشاركتهم فى أفراحهم، وإدخال السرور على قلوبهم بالحضور والدعوات لهم بالخير والبركة. كما يتعين على المسلم مواساة ذوي رحمه في أحزانهم ومآتمهم.

- الحرص على زيارة مرضاهم واتباع جنائزهم. قال رسول الله ﷺ: "حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس" (متفق عليه). وقال رسول الله ﷺ: "إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ يقولُ يَومَ القِيامَةِ: يا ابْنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قالَ: يا رَبِّ، كيفَ أعُودُكَ وأَنْتَ رَبُّ العالَمِينَ؟! قالَ: أَمَا عَلِمْتَ أنَّ عَبْدِي فُلانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ؟ أمَا عَلِمْتَ أنَّكَ لو عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يا ابْنَ آدَمَ، اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قالَ: يا رَبِّ، وكيفَ أُطْعِمُكَ وأَنْتَ رَبُّ العالَمِينَ؟! قالَ: أَمَا عَلِمْتَ أنَّه اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟

أَمَا عَلِمْتَ أنَّكَ لوْ أطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذلكَ عِندِي، يا ابْنَ آدَمَ، اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِى، قالَ: يا رَبِّ، كيفَ أسْقِيكَ وأَنْتَ رَبُّ العالَمِينَ؟! قالَ: اسْتَسْقاكَ عَبْدِي فُلانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أمَا إنَّكَ لو سَقَيْتَهُ وجَدْتَ ذلكَ عِندِي." (رواه مسلم).

# لا تنس ذكر الله

ذكر الله عز وجل، من أعظم النعم التي أكرم الله بها عباده المؤمنين. كما أنه من أشرف الوسائل والأسباب لنيل تقوى الله وطاعته ومحبته. واستصحاب ذكر الله في الأحوال كلها، يعين على تربية النفس، ومجاهدتها، وتزكيتها، وحملها على طاعة الله عزوجل، واتباع سنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه.

## - الذكر في القرآن الكريم

وردت مادة "ذكر" في القرآن الكريم أكثر من مئتي مرة، منها قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيراً﴾ (الأحزاب21).

وقال العليم الحكيم: ﴿رَمْزاً وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾ (آل عمران 41).

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً﴾ (الأعراف 205).

وقال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (العنكبوت 45).

وقال تعالى: ﴿يَآأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴿٤٢﴾﴾ الأحزاب 41- 42).

وقال تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ

لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ (الأحزاب 35)

وقال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ (النور36).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ (آل عمران 190 - 191).

وقال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ (النور36).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (المنافقون 9).

وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ (١٥) ﴾ (الأعلى 14- 15).

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (الرعد28).

وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الزمر 22).

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ

فَرِينٌ ﴾ (الزخرف 36).

وقال تعالى: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾ (المجادلة 19).

وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ (الكهف 24).

إلى غيرها من الآيات البينات المتعلقة بذكر الله عز وجل. جعلنا الله والمسلمين أجمعين من المداومين على ذكره وحمده وشكره.

**- الذكر في السنة النبوية**

تشتمل السنة النبوية على أحاديث كثيرة تتناول موضوع الذكر، وفضائله، وثمراته، ومنزلة الذاكرين، وما يعدهم الله به من ثواب وجزاء، ونعم في الدنيا والآخرة.

والأحاديث فى فضل ذكر الله كثيرةٌ وعظيمةٌ، وقد جاء فيها تقديم ذكر الله عز وجل على سائر النوافل من الطاعات والعبادات، وسبق الذاكرون الله كثيرا والذاكرات من سواهم بنصِّ حديث رسول الله ﷺ، وما ذاك إلَّا لتعلق قلب الذاكر بربِّه وعبوديَّته له.

فعن أبى موسى الأشعري -رضى الله عنه عن النبى ﷺ: "مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره، مثل الحي والميت" (متفق عليه).

وعن عبد الله بن بُسْر، رضى الله عنه، أنَّ رجلاً قالَ: "يا رسول الله إنَّ شرائع الإسلام قد كثرتْ عليّ فأخبرني بشيء أتشبث به، فقال:

"لا يزال لسانك رطبًا من ذكر اللَّهِ تَعالى" (رواه الترمذي).

وعن أبى هريرة، رضى الله عنه، قال: "كان رسول الله ﷺ يسير فى طريق مكَّة فمرَّ على جبل يقال له جمدان، فقال: "سيروا هذا جمدان سبق المفردون، قالوا: وما المفردون؟ يا رسول الله، قال: الذاكرون الله كثيرا، والذاكرات" (رواه مسلم).

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: "ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى، قال: ذكر الله تعالى" (رواه الترمذي).

وعن أبى هريرة، رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان فى الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم". (رواه البخاري).

وعن أبى ذر الغفاري، رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله تعالى؟ إن أحب الكلام إلى الله: سبحان الله وبحمده" (رواه مسلم).

وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال: كنّا عند رسول الله ﷺ فقال: "أيعجز أحدكم أن يكسب فى كل يوم ألف حسنة؟ فسأله سائل من جلسائه: كيف يكسب ألف حسنة؟ قال: يسبح مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة، أو يحط عنه ألف خطيئة" (رواه

مسلم).

وعن أبي أيوب الأنصاري، رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: "من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير عشر مرات، كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل" (رواه مسلم).

وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: "من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شئ قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه، وقال: ومن قال سبحان الله وبحمده في اليوم مائة مرة، حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر" (رواه البخاري).

وعن أبي موسى الأشعري، رضي الله عنه، قال: قال لي النبيُّ ﷺ: "ألا أدلّك على كنز من كنوز الجنة؟ فقلت: بلى يا رسول الله، قال: قل: لا حول ولا قوة إلا بالله". (رواه البخاري).

**- بعض أقوال السلف في الذكر**

قال عَوْن بن عَبْدِ اللَّهِ رحمه الله: "ذَاكِرُ اللَّهِ فِي غَفْلَةِ النَّاسِ كَمَثَل الْفِئَةِ الْمُنْهَزِمَةِ يَحْمِيهَا الرَّجُلُ، لَوْلَا ذَلِكَ الرَّجُلُ هُزِمَتِ الْفِئَةُ، وَلَوْلَا مَنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي غَفْلَةِ النَّاسِ هَلَكَ النَّاسُ" (أبو نعيم الأصفهاني، "حلية

الأولياء وطبقات الأصفياء").

وقال سعيد بن جبير رحمه الله: "الذكر طاعة الله، فمن أطاع الله فقد ذكره، ومن لم يطعه فليس بذاكر له، وإن كثر منه التسبيح وتلاوة القرآن" (أبو نعيم الأصفهاني، "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء").

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله: "الأعمال كلها يفرغ منها، والذكر لا فرغ له ولا انقضاء، والأعمال تنقطع بانقطاع الدنيا، ولا يبقى منها شيء فى الآخرة، والذكر لا ينقطع. المؤمن يعيش على الذكر ويموت عليه، وعليه يبعث" (ابن رجب، "لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف").

وقال جعفر بن محمد الصادق رحمه الله: "إذا جاءك ما تحب فأكثر من الحمد لله، وإذا جاءك ما تكره، فأكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله، وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار" (أبو نعيم الأصفهانى، "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "كل ما تكلم به اللسان وتصوره القلب مما يقرب إلى الله من تعلم علم وتعليمه، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، فهو من ذكر الله" (ابن تيمية، "الفتاوى").

**- أمر الله بالذكر**

لما كان ذكر الله من لوازم العبودية ومقتضياتها، أمر الله عباده به،

وحثهم عليه، وذلك في آيات كثيرة؛ منها قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ ﴾ (آل عمران 41)، وقوله عز وجل: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ (الكهف 24)، وقوله جل وعلا: ﴿يَآأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (الأنفال 46)، وقوله جل شأنه: ﴿يَآأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً (41) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (42) ﴾ (الأحزاب 41- 42).

قال المفسر البغوي رحمه الله في تفسيره: " قوله عز وجل: ﴿يَآأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً ﴾؛ قال ابن عباس: لم يفرض الله تعالى فريضة إلا جعل لها حدا معلوما، ثم عذر أهلها في حال العذر، أما الذكر فإنه لم يجعل له حدا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله وأمرهم به في كل الأحوال، فقال؛ ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ ﴾ (النساء – 103). وجاء في كتاب؛ "جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام" للفقيه محمد بن قيم الجوزية رحمه الله ما نصه: " إن دوام الذكر لما كان سببًا لدوام المحبة، وكان الله سبحانه أحق بكمال الحب والعبودية والتعظيم والإجلال، كان كثرة ذكره من أنفع ما للعبد، وكان عدوه حقًّا هو الصاد عن ذكر ربه وعبوديته، ولهذا أمر سبحانه بكثرة ذكره في القرآن، وجعله سببًا للفلاح، فقال تعالى:﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الأنفال : 45).

### - استصحاب الذكر حالا ومقالا

الاستصحاب في اللغة: "طلب المصاحبة، يقال: استصحب الشيء إذا لازمه". وليس أنفع للعبد المسلم من استصحاب ذكر الله والمداومة عليه قلبا ولسانا، حتى يصير ذكره لمعبوده مع أنفاسه، وتلك الغاية المثلى والكرامة العظمى.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: "كان النبى ﷺ، أكمل الخلق ذكرًا لله عز وجل، بل كان كلامه كُلُّهُ فى ذكر الله وما والاه، وكان أمرُهُ ونهيهُ وتشريعُه للأمة ذِكرًا منه لله، وإخباره عن أسماء الرب وصفاته، وأحكامه وأفعاله،ووعده ووعيده، ذِكرًا منه له، وثناؤه عليه بآلائه، وتمجيده وحمده، وتسبيحه ذكرًا منه له، وسؤاله ودعاؤه إياه، ورغبته ورهبته ذكرًا منه له، وسكوته وصمته ذكرًا منه له بقلبه، فكان ذاكرًا لله فى كل أحيانه، وعلى جميع أحواله، وكان ذكره لله يجري مع أنفاسه، قائمًا وقاعدًا وعلى جنبه، وفى مشيه وركوبه ومسيره، ونزوله وظعنه وإقامته". (ابن القيم، "زاد المعاد").

### - ذكر الله يقوي القلب ويثبته

إن الإنسان خلق ضعيفا لا يقوى على حماية نفسه من كل ما يداهمه من المصائب والشدائد، وسرعان ما تضيق نفسه خوفا وجزعا عندما تنزل به مصيبة من المصائب، إلا أن الله الذي ابتلاه أمره بذكره، واللجوء إليه، والاستغاثة به، كي ينقذه ويفرج كربته. وليس أنفع للعبد الخائف

الوجِلِ من الإكثار من ذكر الله سبحانه، لأن ذكره في مثل هذه المواطن يجلب الأمن والطمأنينة لقوله سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ (الرعد 28).

**- فوائد الذكر وفضائله**

إن فوائد الذكر لا تعد ولا تحصى، والعبد المؤمن الموحد الذاكر في رياض جنة الذكر يرتع وينعم، ولما يرتحل إلى الآخرة. ولقد ألف العلماء في فضائل الذكر وفوائده رسائل ومؤلفات جليلة؛ منهم الإمام النووي رحمه الله في كتابه "الأذكار"، والإمام الشوكاني طيب الله ثراه في كتابه؛ "تحفة الذاكرين". ولعل كتاب؛ "الوابل الصيب من الكلم الطيب" للفقيه محمد بن قيم الجوزية رحمه الله من أنفس وأجود ما كتب في هذا الباب، وقد ذكر رحمه الله من فوائد ذكر الله ما يزيد عن سبعين فائدة: منها:

- أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره، ويرضى الرحمن عز وجل، ويزيل الهم والغم والحزن، ويجلب للقلب الفرح والسرور والبسط.

- ومنها: أنه يقوي القلب والبدن، وينور الوجه والقلب ويجلب الرزق.

- ومنها: أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة، ويورثه المحبة التي هي روح الإسلام وقطب رحى الدين ومدار السعادة والنجاة.

- ومنها: أنه يورث المراقبة حتى يدخل العبد في باب الإحسان فيعبد الله كأنه يراه، ويورثه الإنابة والقرب، فعلى قدر ذكر العبد لربه يكون قربه منه، وعلى قدر غفلته يكون بعده عنه.

- ومنها: أنه يورث ذكر الله عز وجل، قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (البقرة 152)، وفي الحديث القدسي : " فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ".

- ومنها: أنه يورث حياة القلب كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: الذكر للقلب كالماء للسمك فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء.

- ومنها: أنه يورث جلاء القلب من صداه، وكل شيء له صدأ، وصدأ القلب الغفلة والهوى، وجلاؤه الذكر والتوبة والاستغفار.

- ومنها: أنه يحط الخطايا ويذهبها، فإنه من أعظم الحسنات والحسنات يذهبن السيئات.

قال ﷺ: "من قال في يوم وليلة سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت عنه خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر" (رواه البخاري ومسلم).

- ومنها أنه سبب لنزول الرحمة والسكينة كما قال ﷺ: "وما اجتمع قوم في بيتٍ من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم،

إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده" (رواه مسلم والترمذي).

- ومنها: أنه سبب لانشغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل، فمن عَوَّد لسانه ذكر الله صانه عن الباطل واللغو، ومن يبس لسانه عن ذكر الله تعالى ترطب بكل باطل ولغو وفحش ولا حول ولا قوة إلا بالله.

- ومنها: أنه غراس الجنة كما في حديث جابر عن النبي ﷺ: "من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة".

- ومنها: أن للذكر من بين الأعمال لذة لا يشبهها شيء، فلو لم يكن للعبد من ثوابه إلا اللذة الحاصلة للذاكر، والنعيم الذي يحصل لقلبه لكفى به ولهذا سميت مجالس الذكر رياض الجنة.

قال مالك بن دينار: ما تلذذ المتلذذون بمثل ذكر الله عز وجل.

- ومنها: أن دوام الذكر تكثير لشهود العبد يوم القيامة.

- ومنها: أن الذكر أفضل من الدعاء: الذكر ثناء على الله عز وجل، والدعاء سؤال العبد حاجته، فأين هذا من هذا، والذكر كذلك يجعل الدعاء مستجابـًا، فالدعاء الذي تقدمه الذكر والثناء أفضل وأقرب إلى الإجابة من الدعاء المجرد".

### - الذكر عبادة توقيفية

إن ذكر الله عز وجل عبادة توقيفية مقيدة بالشرع ومسيجة بالاتباع، خلافا لما سنه وشرعه بعض الصوفية من الأذكار البدعية؛ كذكر الله بالإسم المفرد: الله، الله، الله،... أو بلفظ ضمير الغائب: هو، هو، هو،... فلم يثبت عن النبي ﷺ، ولا عن الصحابة والتابعين، أنهم كانوا يذكرون الله بإسمه المفرد، أو بضمير الغائب. وفي الموطأ والصحيحين أن رسولنا صلوات الله وسلامه عليه قال: "أفضل ما قلت أنا والنبيئون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير" (رواه الترمذي).

إن الشارع الحكيم نص على أن صيغة الذكر ينبغي أن تكون مفيدة وذات معنى؛ فالذاكر عندما يردد "لا إله إلا الله"، فإنه ينتقل من معنى النفى إلى معنى الإثبات، أي؛ ينفى صفة الألوهية عما سوى الله، ثم يثبتها لله وحده، وهو بذلك يعمل على تأصيل وتجذير التوحيد فى قلبه، وينفى عنه كل الشبه والوساوس والضلالات: وهكذا تتأصل شجرة التوحيد فى صدره، ثم تمتد فروعها في جوارحه، وأقواله، وأفعاله، فيغدو كيانه مشرقا ومتلألئا بنورها.

# موضوعات الرسالة